بسم الله الرحمن الرحيم

حقيقة المحبة الشرعية

لا جدال في أن حقيقة الصورة، وحقيقة المحبة الشرعية: الالتزام بما جاء به محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ قال الله تعالى: ﴿لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيراً﴾. ولا سبيل للمسلم إلى تحقيق حبه لله، وتحصيل محبة الله ومغفرته له إلا باتباع رسوله؛ قال الله تعالى: ﴿قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم﴾. ومن خالف منهج الرسول صلى الله عليه وسلم الذي اختاره الله ورضيه له ولأمته إلى يوم القيامة (كما فقره وعمل به المؤمنون في القرون المفضلة) فلن يقبل الله منه، مهما بذل من جهد وما أدمى من حب لله ولرسوله ولدينه، بل ومهما بلغت رغبته في الخير والهدى من مبلغ؛ قال الله تعالى: ﴿ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيراً﴾. وقال تعالى: ﴿إنهم اتخذوا الشياطين أولياء من دون الله ويحسبون أنهم مهتدون﴾.

وقد غفلت أمم غابرة وحاضرة في إظهار محبة الله أو الرسول أو من تعتقد فيهم الصلاح، وتجاوزت حدود شرع الله لعباده، فاستحقت غضب الله ولعنته وعقابه: ﴿وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله ذلك قولهم بأفواههم يضاهئون قول الذين كفروا من قبل قاتلهم الله أنى يؤفكون * اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله والمسيح ابن مريم وما أمروا إلا ليعبدوا إلهاً واحداً لا إله إلا هو سبحانه عما يشركون﴾. وقتل اليهود والنصارى غلاة البوذيون في "بوذا"، وغلاة الهندوس قديماً في "براهما" فصنموهما. بل زاد النصارى غلواً في عيسى فجعلوه جسداً لذات الإله وثالث ثلاثة، وبالتالي: قالوا عنه مريم عليها السلام: والدة الله، وعنه الله (تعالى عما يقولون علواً كبيراً) فقالوا: الأب.

وقد حذر الله أمة الإسلام (في كتابه وسنة رسوله) من اتباع سبيل الكافرين والغلو في الدين؛ قال الله تعالى: ﴿يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم غير الحق ولا تتبعوا أهواء قوم قد ضلوا من قبل وأضلوا كثيراً وضلوا عن سواء السبيل﴾، وقال النبي صلى الله عليه وسلم: «لا

تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم فإنما أنا عبده فقولوا: عبد الله ورسوله» رواه البخاري. وقال صلى الله عليه وسلم: «لتبعن سنن من كان قبلكم شبرا بشبر، وذراعا بذراع، حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه» متفق عليه، وقال صلى الله عليه وسلم: «إياكم والغلو فإنما أهلك من كان قبلكم» رواه أحمد.

وصدق الله عز وجل، وصدق رسوله صلى الله عليه وسلم؛ لقد وقع أكثر خلف المسلمين - بعد القرون المفضلة - في كثير من كان قبلهم من اليهود والنصارى والمشركين في أنواع أقوالهم وأعمالهم، بقيادة الفاطميين أولا والصفويين أخيرا، وبتسويل التصوف ووسوسة أولا وآخرا. وقد أكثر من لم يقع في ركاب الضلال من المسلمين أن لا قبل لهم بمقاومته، فقال لسان حالهم: لكم دينكم ولي دين.

وبما أنه لا يكون إسراف إلا ويكون من حق مضيع، فقد صاحب الغلو في ادعاء المحبة تضييع لرجاء الله وخوفه، ولا يزال كثير من الدعاة والخطباء - فضلا عن العوام - بعد عشرة قرون ونصف من موت "رائد الصوفية" يتبعون ما نسب إليها من خرافة: «اللهم إنه كنت أعبدك طمعا في جنتك فاحرمني منها، وإنه كنت أعبدك خوفا من نارك فأدخلنيها» (لو جاز الاعتماد على التاريخ في مثل هذا)، وكلما تميز "رائد" في أخبار السير (لوجاز الاعتماد على التاريخ في أحكام الدين) أنه تائب عابد، ولم يدع أحد أنه أخذ شيئا من أولي الأمر والعلم الذين تؤخذ منهم الفتوى في الشريعة بما يحملونه من نصوص الوحي والفقه في الدين.

ولا تصدق دعوى المحبة الشرعية دون موازنة بين الرجاء والخوف؛ قال الله تعالى: ﴿ادعوه خوفا وطمعا﴾، و"الدعاء هو العبادة". وقال الله تعالى: ﴿أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة أيهم أقرب ويرجون رحمته ويخافون عذابه إن عذاب ربك كان محذورا﴾. ولا يتم الإيمان دون الجمع بين المحبة والرجاء والخوف.

وقال المنتسبون للإسلام والسنة في دعائهم النبي صلى الله عليه وسلم، غلوا في حبه ومخالفة لهديه: [يا أول خلق الله، ويا أول الأولين وآخر الآخرين]. أما هو فقد قال (وهو وحي الله): «أول ما خلق الله القلم». رواه أبو داود والترمذي والبيهقي.

واختاروا للصلاة عليه الصلاة النارية، وفيها وصف بما لا يوصف به إلا الله:

[الذي تنحل به العقد وتنفرج به الكرب وتنال به الرغائب وتقضى به الحوائج]. واختار لخير أمته وممن بعدهم (صه وحي الله له) "اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على آل ابراهيم إنك حميد مجيد". متفق عليه.

وقال شاعر المدائح المبتدعة مخالفاً أمر الله ورسوله:

ولله من جودك الدنيا وضرتها . ومن علومك علم اللوح والقلم

وقال: لو ناسبت قدره آياته عظماً . أحيى اسمه حين يدعى دارس الرمم

وكذبوا قول الله وقول رسوله أنه بشر وأنه خلقه من طين ومن صلب آدم، قال أبو الهدى الصيادي الذي جعلته الخلافة العثمانية عمر الأمة وغير المرحومة المرجع الديني الأول والأخير في عهد السلطان عبد الحميد:

[قبضة الفخار جل جلاله من نور وجه قبضة فخاره مزج حبيب الخلق صلى الله عليه وسلم]. قلادة الجواهر" ص ١٩٢.

وقال الرواس الحموي في كتابه "براعة الخطابة" ص ١٩٢:

صار في وجه وجود الكون شامه . وهو نور أزلي طرزه

وعلى العرسة علت منه العمامه . طوى العالم في جبته

وقال عوامهم في المدائح ما يسمى النظم محلها يليق بمقام النبوة:

خده أحمر مورد . ريقه سكر مكرر . بطنه لمي الحرير . حبه يستنشق العنبر.

وجاء المفكرون في الكتاب الموصوفون بالإسلامية الذين استاحوا صبي الطوم الشرعية (وبخاصة التفسير والسيرة) وهم منه غير أصلاء: فقال بعضهم: [إن الله أعطى محمداً صفته من صفاته: ﴿رءوف رحيم﴾]. أخطأوا وما وعوا أن إن قصدوا الاشتراك في اللفظ، فقد قال الله عن الإنسان سماكراً أو كفوراً: ﴿سميعاً بصيراً﴾. وارتكبوا شركاً لفظياً إن قصدوا الاشتراك في المعنى المطلق، فلا شريك لله في صفاته.

وقال بعضهم: إن محمداً أخير من موسى (عليهما الصلاة والسلام) فقد قال الله عن موسى: ﴿وعجلت إليك رب لترضى﴾، وقال لمحمد: ﴿ولسوف يعطيك ربك فترضى﴾. وأخطأوا ألف مرة؛ فقد قال الله عن محمد لهود ونبه محمد صلى الله عليه وسلم: ﴿رضي الله عنهم ورضوا عنه﴾ وقال تعالى: ﴿ولسوف يرضى﴾. وعصوا نهي رسول الله صلى الله عليه وسلم لأمته عن المفاضلة بينه وبين نبي معين: «لا تخيروا بين الأنبياء» (وفي رواية: لا تخيروني على موسى)، فإن الناس يصعقون يوم القيامة

فأكون أول من تنشق عنه الأرض فإذا موسى آخذ بقائمة من قوائم العرش، فلا أدري كان فيمن صعق أم حوسب بصعقته الأولى (وفي رواية: أو كان ممن استثنى الله)». متفق عليه.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في التحذير من مثل ما اقترف هؤلاء العصاة: «هلك المتنطعون» ثلاثاً. رواه مسلم، وقال صلى الله عليه وسلم: «إن أبغضكم إليّ وأبعدكم مني يوم القيامة: الثرثارون والمتشدقون والمتفيهقون» رواه الترمذي.

والإسلام والمسلمون في غنىً عن الشطحات الصوفية الضالة والمقالات اللغوية والفكرة المتنطعة، بوصي الله في كتابه الكريم وسنة نبيه المعصومة، قال الله تعالى عن نبيه صلى الله عليه وسلم: ﴿لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رءوف رحيم﴾، وقال تعالى: ﴿فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك﴾، وقال تعالى: ﴿وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين﴾، وقال تعالى: ﴿وإنك لعلى خلق عظيم﴾. وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم عن نفسه: «أنا سيد الناس يوم القيامة» متفق عليه، وفي رواية ابن حبان: «أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر، وأول من تنشق عنه الأرض، وأول شافع، بيدي لواء الحمد تحته آدم فمن دونه»، وقال صلى الله عليه وعلى آله وسلم: «أعطيت خمساً لم يعطهن أحد من الأنبياء قبلي: نصرت بالرعب مسيرة شهر، وجعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً وأيما رجل من أمتي أدركته الصلاة فليصل، وأحلت لي الغنائم، وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس كافة، وأعطيت الشفاعة». متفق عليه.

وقد لم يكفه ما جاء في كتاب الله وسنة رسوله فما استسلم لأمر الله وشرعه، ولا صدقه في ادعائه حب رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولا وجد حلاوة الإيمان، ولم يجد له ولياً مرشداً، «فمن رغب عن سنتي فليس مني» متفق عليه. وصلى الله وسلم على محمد وآل محمد